



yehiatrakhawy@hotmail.com

د. يوحنا يوحنا - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

أمل أن يتحمل الزملاء والأصدقاء متابعة هذا النشر المتقطع لأنه مهم، ولعله يعطى فرصة للقراءة البطيئة (والمراجعة والنقد). شكراً

يحيى

المقتطف (3)

“ نظراً لأن الطب النفسى التطورى يعطى ثقلاً مناسباً ومتوازناً لكل من الجوانب العضوية والنفسية فإن ذلك سوف يسمح بالسعى إلى مزيد من البحث فى العلوم النفسية والعلوم العصبية معا بهدف التكامل مع بعضها البعض، ومع الجسد ككل، ليصب كل ذلك فى معلومات لازمة للطب النفسى.

التعقيب:

وهذا أقرب إلى ما تشير إليه التطبيقات المحتملة من هذا الطب، وهى غير الشائعة فى نماذج أخرى للطب النفسى بما فى ذلك النموذج النفسى البيولوجى الاجتماعى، وحتى فى النموذج الطبى بامتداده الأشمل، وربما تكون الإضافة هنا بالنسبة للطب النفسى التطورى هى فى الأمل فى تكامل أعمق، وليس مجرد إضافة إلى جهد الأخصائى النفسى أو الاجتماعى، بمعنى أن يكون الطبيب نفسه قادراً على معايشة هذا التكامل، وعلى الرجوع إلى هذه الحقائق الأصلية الأساسية بحيث يصعب عليه فصل أى منها عن طبيعة العلاقة العلاجية النمائية المتكاملة مع مريضه



كارل يونج

هنا، أذكر بالفضل أن الطب النفسى التطورى موجود قبل هذا الاسم تحديداً، فمثلاً بالنسبة لمدرسة وتوجهات كارل جوستاف يونج الذى لم يغب عن المؤلفين "ستيفن وبراييز" ذكر فضله والاعتفاف منه كلما لزم الأمر، مثلاً: حين استشهد المؤلفان منه بهذا المقتطف وهو يقول:

المقتطف (4)

“فى النهاية فإن حياة كل فرد فى نفس الوقت: هى الحياة الأبدية لنوعه“، (يونس)!!

التعقيب:

لاحظ: كل "فرد" فى نفس الوقت) ثم (الحياة الأبدية لنوعه)!!!

المقتطف (5): (استشهد المؤلفان أيضا بقول يونس:

“إن التفرّد Individuation العملية التى يتكامل بها الإنسان بشراً سوياً) هو ممكن إذا أتاحت الفرصة للشخص أن يتكامل فيه ما هو "إنتوجنيا" مع ما هو "فيلوجنيا"، وبالتالي يتوحد وجوده

“نظراً لأن الطب النفسى التطورى يعطى ثقلاً مناسباً ومتوازناً لكل من الجوانب العضوية والنفسية فإن ذلك سوف يسمح بالسعى إلى مزيد من البحث فى العلوم النفسية والعلوم العصبية معا بهدف التكامل مع بعضها البعض، ومع الجسد ككل، ليصب كل ذلك فى معلومات لازمة للطب النفسى.

ربما تكون الإضافة هنا بالنسبة للطب النفسى التطورى هى فى الأمل فى تكامل أعمق، وليس مجرد إضافة إلى جهد الأخصائى النفسى أو الاجتماعى

أن يكون الطبيب نفسه قادراً على معايشة هذا التكامل، وعلى الرجوع إلى هذه الحقائق الأصلية الأساسية بحيث يصعب عليه فصل أى منها عن طبيعة العلاقة العلاجية النمائية المتكاملة مع مريضه

فى النهاية فإن حياة كل فرد فى نفس الوقت: هى الحياة

الذاتي مع كل إمكانيات الإنسانية وهو يستعمل نفس الآلية التي مُنحنا إياها بأقصى ما تستطيع قدراته.

التعقيب:

لاحظ في رأى يونج كيف أن تكامل تطور النوع (الفيلوجينيا) مع تطور الفرد (الانتوجينيا) وارد، وليس

فقط الاستعادة Recapitulation

ولاحظ أيضا ربط الوجود الذاتي مع: “كل إمكانيات الإنسانية.”

وبعد:

ما زلنا مع ستيفن، وبراييس وهما يقدمان لنا الطب النفسي التطوري بهذا العنوان الفرعى الدالّ: “بداية جديدة”، بطريقة جعلتني فعلا أراجع الطب النفسي التقليدي وجفافه، مقارنة بالحس الفني الإبداعي وتحريك الوعي الذي يحل بي وأنا أتابع إبداع هذين المؤلفين في الطب النفسي التطوري، وقد رحبت بأبحث عن التطبيق العملي الممكن لهذه الأحلام السعيدة!! حتى وصلت إلى صفحة (242)، وإذا بي أفرح بمقطع شديد الجمال والدلالة، برر لي موقفي وهذا نصه (وتشكيله):

المقتطف (6):

“ حين يدخل مريض إلى حجرة الكشف فإنه يدخل ومعه – إن صح التعبير – جمهرة من الناس الممثلين تاريخه الشخصي، هذا ما يعرفه الطب النفسي من قديم. الذي يضيفه الطب النفسي التطوري هو أنه تبين أن هذا المريض نفسه يحضر معه أيضا أجداده من الصيادين وأكلى النمل والزواحف من تاريخ أسلافه، وحين تقترب الاستشارة من نهايتها تصبح حجرة الكشف مليئة بمعارض المخلوقات البدائية التي لكل منها الحق أن يُستمع له، وأن يُستجاب لاحتياجاته (2)



التعقيب:

الذي أفرحني في هذا المقتطف هو أنني حين رحلت أتمثله والمريض أمامي ومعه (بداخله/وامتدادا له)، عشرات الأشخاص والأحياء، بإذنه أو رغما عنه في حجرة الكشف، أقول عشرات بل هم أكثر بكثير (3)، حين تمثلت هذا الوضع ثم تلفت حول المريض وحولى فإذا – بحسب المقتطف – بكل هذه الأحياء تملأ حجرة الكشف (أو حجرة الدرس بل حجرات وعيى أيضا!!) وجدت أن الدنيا قد ازدحمت أكثر مما أحتمل، لكنني لم أتنازل عن فرحتي بهذا التصور الفني الخيالي الواقعي معا، واعتبرته أول خطوة نحو ترجمة التنظير إلى التطبيق، إن أمكن. فهل يمكن؟؟ وكيف؟



إن التفرد Individuation (العملية التي يتكامل بها الإنسان بشرا سويا) هو ممكن إذا أتيدت الفرصة للشخص أن يتكامل فيه ما هو “انتوجينيا” مع ما هو “فيلوجينيا”، وبالتالي يتوحد وجوده الذاتي مع كل إمكانيات الإنسانية وهو يستعمل نفس الآلية التي مُنحنا إياها بأقصى ما تستطيع قدراته

في رأى يونج كيف أن تكامل تطور النوع (الفيلوجينيا) مع تطور الفرد (الانتوجينيا) وارد، وليس فقط الاستعادة Recapitulation

حين يدخل مريض إلى حجرة الكشف فإنه يدخل ومعه – إن صح التعبير – جمهرة من الناس الممثلين تاريخه الشخصي، هذا ما يعرفه الطب النفسي من قديم

الذي يضيفه الطب النفسي التطوري هو أنه تبين أن هذا المريض نفسه يحضر معه أيضا أجداده من الصيادين وأكلى النمل والزواحف من تاريخ أسلافه، وحين تقترب الاستشارة من نهايتها تصبح حجرة الكشف مليئة بمعارض المخلوقات البدائية التي لكل منها الحق أن يُستمع له، وأن يُستجاب لاحتياجاته

وجدت أنني في ممارستي وفي حدود خبراتي وتنظيري: ربما أتصرف كذلك، ولكن في حدود ثلاث أو أربع أنواع من هذه الأحياء جميعاً، أو أكثر قليلاً إذا ما اضطررت إلى ذلك: (وهذا ما سوف أعود إليه حين أقدم الطب النفسي التطوري الإيقاعي وتطبيقاته العلاجية)، وتعجبت كيف يتصرف ستيفن أو زميله في هذا الموقف! يا ترى ماذا تفعل فعلاً يا عمنا ستيفن حتى بمساعدة زميلك رايس؟ وكيف ستستمع لكل هؤلاء ليس فقط من البشر، ولكن من سائر الأحياء الذين حضروا مع المريض فعلاً؟ وإذا به يسمعني ويسارع بالإجابة "إجابة رائعة"، قال ما يلي بالنص:

المقتطف (7)

...." ويصبح دور الطبيب النفسي مثل مدرب كرة القدم الذي يدرّب كل لاعب على أداء دوره وشحن مهاراته حتى يتكامل مع سائر اللاعبين فتكون نتيجة تفاهمهم وتكاملهم في اللعب بكفاءة كفريق فعلاً، وليس كأفراد يتنافسون فيما بينهم."



التعقيب:

الله!! الله!! وزادت فرحتي، وزادت حيرتي، وزاد حضور الطب كفنٍّ، لأتعرف على مهنة تدريب الفريق التي أمارسها دون أن أدري، فوجدت الكتاب يتكلم عن التفاوض العلاجي Therapeutic Optimism يقول في ذلك:

المقتطف (8):

" إن تفهّم الأعراض على أنها إبداع وآلية هادفة، يكشف قيمة هذا التفاوض العلاجي لدى الطبيب والمريض على حد سواء."

ثم يواصل شرح هذا التفاوض العلاجي وهو يقول:

المقتطف (9):

" فبدلاً من إدراك "الأعراض" على أنها معاناة مخرّبة، فإنه يمكن استقبالها باعتبارها آلام النمو لشخص يجاهد ليتكيف لمتطلبات الحياة التي فرضت عليه."

التعقيب:

"وعلى ذلك فإن مساعدة المرضى هي في الأخذ بأيديهم ليواصلوا نموهم بعد عبور هذا المأزق المؤلم الفاشل (المرض) الذي اختاروه مضطرين."

المقتطف (10): (مازال الكلام من نفس الكتاب):

" وبدلاً من أن تكون مهمة المرضى هي تلقي الدعم والأدوية يجرى تشجيعهم: بالمشاركة في معاناتهم حتى نواجهه معاً "معنى" المرض."

وهكذا تكون موضوعية (وجدوى) العلاج في القدرة) قدرة المريض والطبيب معاً (على تنمية علاقة إبداعية⁽⁴⁾ مع الأعراض، بما تعنيه من محاولات تكيف، وإن كانت قد أخطأت السبيل، فوظيفة العلاج هي تصحيحه إبداعاً.

حين تمثلت هذا الوضع ثم تلفتت حول المريض وحولتي فإذا - بحسب المقتطف - بكل هذه الأحياء تملأ حجيرة الكشوف (أو حجيرة الدروس بل حجراته ونحبي أيضاً!!) وجدت أن الدنيا قد ازدحمت أكثر مما أحتمل

لم أتنازل عن فرحتي بهذا التصور الفني الخيالي الواقعي معاً، واعتبرته أول خطوة نحو ترجمة التنظير إلى التطبيق، إن أمكن. فهل يمكن!!! وكيف؟

"....ويصبح دور الطبيب النفسي مثل مدرب كرة القدم الذي يدرّب كل لاعب على أداء دوره وشحن مهاراته حتى يتكامل مع سائر اللاعبين فتكون نتيجة تفاهمهم وتكاملهم في اللعب بكفاءة كفريق فعلاً، وليس كأفراد يتنافسون فيما بينهم."

" إن تفهّم الأعراض على أنها إبداع وآلية هادفة، يكشف قيمة هذا التفاوض العلاجي لدى الطبيب والمريض على حد سواء."

" فبدلاً من إدراك "الأعراض" على أنها معاناة مخرّبة، فإنه يمكن استقبالها باعتبارها آلام النمو لشخص يجاهد ليتكيف لمتطلبات الحياة التي فرضت عليه."

الخلاصة:

دعوني أتوقف عن الاقتطاف والإضافة الشارحة بين الأقواس لأثبت انطباعي المبدئي العام كالتالي:

مع اتفاقي (وربما اتفاقنا) مع هذا التوجه العام للبحث عن معنى الأعراض بدلا من الاكتفاء برصد الوصف بهدف تسميتها، ومن حيث إسهام المريض في اختيار المرض، وبالتالي إمكان (بل ضرورة) إسهامه في إعادة اختياره بإبداع: حلا أفضل نحو الصحة، فإني أرى أن ما قدمه المؤلف (5) يحتاج إلى ترجمة عملية أبسط وأكثر واقعية وتحديدا، كما يحتاج إلى إعداد معالجين مبدعين مشاركين وليس فقط أهل رحمة سابقة، أو أخصائيي معاملة لتنفيذ نتائج أبحاثهم (6)، وهكذا أجدني مضطرا أن أعود للاقتطاف أمانة إذ يبدو أن المؤلف قد سمعنا، فالحق بنا يقول:

المقتطف (11):

“ حتى نتقدم بوضوح لشرح متطلبات مثل هذا العمل (العلاج هكذا) فإن على المعالجين أن يتعهدوا ذواتهم بدفع عجلة نموهم - شخصا -، وبحفز قدراتهم الإبداعية إذا كانوا يأملون في رأب صدع مرضاهم ليعودوا لمواصلة وجودهم الصحيح لكن هذا قد يضع الطبيب النفسي الذي يلتزم بذلك في موقع التحدي (الإبداع) لتحقيق ما يعد به هذا المسار، إذ يتوقف النجاح في هذه المهمة على مهارة المعالج في إطلاق سراح القدرات الإبداعية غير المستعملة عند المريض مثلما هو معروف في ”علاج كارل ج. يونج“ الذي يقوم بتتعة النماذج البدائية: (الفيلوجينية) للتكامل الخلاق مع سائر قدرات المريض... الخ.

وبعد

ألستم معي بالله عليكم أن كل هذا التكامل بهذه الموصفات سواء في المريض أو في المعالج هي صفات ضرورية تستدعي تغييراً جذريا في طرق التدريب (بل في طرق الحياة المعاصرة كلها غالبا) ليعود الطب النفسي إلى أصله: فن اللأم ونقد النص البشري؟ ولنتعرف على الحياة قبل الاغتراب والتشويه ”ربي كما خلقتني!“

وربما نستهدى من ذلك إلى تصحيح مسارات موازية، انحرفت أو اختزلت بما يهدد المسيرة البشرية (وربما الحيوية)

بالله عليكم كيف يمكن أن يقوم مدرب (مثل مدرب كرة القدم) (المعالج (بتدريب هذه الألوف (بل الملايين) من الأحياء الذين حضروا مع المريض في نفس الوقت بالإضافة إلى ما تحرك بداخله من شخوص وأحياء أيضا، حتى يمكن أن يتخلق وعي جماعي داخلي متكامل متعاون، يعمل معا حتى يصيب الفريق الهدف (وليس اللاعب وحده).. بل حتى يتم عزف لحن الوجود كما خلقه واضعه!!



مادام الوصف بهذا العمق، والمعلومات بهذه الموضوعية، والنية بهذا الصدق، فقد كنت أتوقع أن أجد

بدلا من أن تكون مهمة
المريض هي تلقي الدعم
والأدوية يجري تشجيعهم:
بالمشاركة في معاناتهم حتى
نواجه معا ”معنى“ المرض

هكذا تكون موضوعية
(وجدوى) العلاج في القدرة
(قدرة المريض والطبيب معا)
على تنمية علاقة إبداعية (4)
مع الأعراض، بما تعنيه من
محاولات تكييفه، وإن كانت
قد أخطأت السبيل، فوظيفة
العلاج هي تصحيحه إبداعاً.

أرى أن ما قدمه المؤلف (5)
يحتاج إلى ترجمة عملية أبسط
وأكثر واقعية وتحديدا، كما
يحتاج إلى إعداد معالجين
مبدعين مشاركين وليس فقط
أهل رحمة سابقة، أو أخصائيي
معاملة لتنفيذ نتائج أبحاثهم

على المعالجين أن يتعهدوا
ذواتهم بدفع عجلة نموهم -
شخصيا -، وبحفز قدراتهم
الإبداعية إذا كانوا يأملون
في رأب صدع مرضاهم
ليعودوا لمواصلة وجودهم
الصحيح

بعض التفاصيل العملية لطريقة العلاج والتدريب حتى أستطيع أن أدافع عن هذا الطب النفسي التطوري بقدر ما فرحت به وأنست له وطمأننى، وقد وجدت بعض ذلك لكنه لم يكن كافياً إطلاقاً لى وأنا أتصور إمكانيات تطبيقه فى مواجهة غلبة الطب الكمى الميكانيكى السائد، جنبا إلى جنب مع تمادى الميل إلى الاعتمادية والاختزال فى كثير من جوانب حياتنا، وليس فقط فى هذا المجال المهنى الطبى المحدود.

.....

(ونواصل الأسبوع القادم بمشيئة الله)

- [1] انتهيت من مراجعة أصول "الطبنفسى الإيقاعى التطورى" وهو من ثلاث أبواب: وسوف نواصل النشر البطيء آملاً فى حوار، منشورات جمعية الطب النفسى التطورى (2021) (تحت الطبع)

[2] - لأهمية هذا المقتطف واستمرار مناقشته رأيت أن أورد نصه بالإنجليزية من الكتاب الأسمى Page:242 :
When a patient enters the consulting room, he brings with him, in a manner of speaking, a crowd of people from his past. That psychiatry has always known. What evolutionary psychiatry has recognized is that he also brings the hunter-gatherers, anteaters, and reptiles from his ancestral past. By the end of a consultation, the room is crammed with this menagerie, each member of which has a right to be listened to, and, if possible, to have his needs fulfilled.

- [3] إذن ليسوا فقط حالات الذات الطفل والناضج والوالد التى وصفها إريك بيرن فى التحليل التفاعلاتى
- [4] الخط تحت الكلام إضافة من عندى
- [5] ابتداء من هنا سوف اتحدث عن المؤلف (مفرداً) نياابة عن المؤلفين حتى لا اضطر إلى الاطالة طول الوقت.
- [6] كما يزعم الطب النفسى الترجمى Translational Psychiatry ندوة "أنواع الطب النفسى" (2014) قسم الطب النفسى - جامعة الإسكندرية.

إرتباط كامل النص مع المقتطفات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD281121.pdf>

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%b9%d8%ad%d9%8a%d9%88%d9%89-%d8%a7/>

هذا قد يضع الطبيب النفسى الذى يلتزم بذلك فى موقع التحدى (الإبداعى) لتعقب ما يعد به هذا المسار، إذ يتوقعه النجاح فى هذه المصمة على مهارة المعالج فى إطلاق سراح القدرات الابداعية غير المستعملة عند المريض مثلما هو معروفه فى "علاج كارل ج. يونج" الذى يقوم بتعنته النماذج البدائية: (الفيلوجينية) للتكامل الخلاق مع سائر قدرات المريض... الخ.

بإلله عليمكم كيفه يمكن أن يقوم مدرب (مثل مدرب كرة القدم) (المعالج) بتدريب هذه الألفوف (بل الملايين) من الأحياء الذين حضروا مع المريض فى نفس الوقت بالإضافة إلى ما تحرك بداخله من شخص وأحياء أيضا

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقىا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمى

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الألكترونى

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوى 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الويب

21 عاما من الضج... 19 عاما من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>